العنوان:	متسلمية نابلس فى العهد المصرى 1247 - 1256 هـ = 1831 - 1840 م.
المؤلف الرئيسي:	سعادة، علاء كامل عبدالجابر
مؤلفين آخرين:	الطراونة، محمد سالم غثيان(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2007
موقع:	الكرك
الصفحات:	1 - 364
رقم MD:	786599
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة مؤتة
الكلية:	عمادة الدراسات العليا
الدولة:	الاردن
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	التاريخ المصرى، مدينة نابلس، الاثار التاريخية، السلطات الحاكمة
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/786599



جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

متسلمية نابلس في العهد المصري
(1247- 1256هـ/ 1831- 1840م)

إعداد الطالب

علاء كامل سـعادة

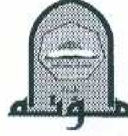
إشراف

الدكتور محمد سالم الطراونة

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة
الماجستير في التاريخ قسم التاريخ

جامعة مؤتة 2007م

بسم الله الرحمن الرحيم



MUTAH UNIVERSITY

Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

نموذج رقم (14)

قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب علاء كامل سعادة الموسومة بـــ:

متسلمية نابلس في العهد المصري 1247-1256هـ/ 1831-1840

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في **التاريخ**.

القسم: التاريخ.

	التوقيع	التاريخ	
د. محمد سالم الطراونة		2007/12/27	مشرفاً ورئيساً
د. عيسى سليمان أبو سليم		2007/12/27	عضواً
د. شكري ربحي التاجي		2007/12/27	عضواً
د. بسام عبدالسلام البطوش		2007/12/27	عضواً

عميد الدراسات العليا

أ.د. حسام الدين المبيضين



MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

مؤتة – الكرك – الاردن
الرمز البريدي :61710
تلفون :03/2372380-99
فرعي 5328-5330
فاكس 03/2 375694
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

الفصل الأول

نبذة تاريخية عن مدينة نابلس

1.1 المقدمة:

إن الولوج إلى أعماق تاريخ الأمم والشعوب، والنظر بتمعن إلى ما أفرزته من حضارة ابتدعتها أو اكتسبتها أو أضافت إليها لهو نوعٌ من استخراج جواهر الموروث من كنوز أدبيةٍ وعلميةٍ وتاريخيةٍ وفنية، فما حياة الأمم والشعوب في الدول إلا سيرٌ في طريق بدأه الأجداد الأوائل، وسار عليه الأبناء والأحفاد. ويجد الإنسان نفسه في خضم الأحداث التاريخية التي تتوالى مؤثراً ومتأثراً في هذا الحدث أو ذاك؛ إذ أن عمر الشعوب لا يحسب بعدد السنوات، وإنما بالأحداث المؤثرة داخل هذه السنة أو تلك، فكم من سنوات مرّت على وجه المعمورة دون أن يشعر بها الإنسان!، وكم من سنة أو يوم أثَّر على مسيرة طبيعة الحياة سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، وفتح القسطنطينية خيرُ مثال على ذلك، وسقوط غرناطة، والحربين العالميتين الأولى والثانية اللتين شكلتا معالم التاريخ الحديث، وما آل إليه من تطورات.

ولا ريب أن بلاد الشام هي موئل المجد، ومصب الأحداث والمجريات على مر التاريخ لما احتوته من موروث ديني وتاريخي وسياسي حضاري يدل على ذلك فهي تحوي كثير من المقدسات الإسلامية والمسيحية، وهي مهد الأنبياء وملجؤهم. بالإضافة إلى أنها منبع كثير من الحضارات فقد قامت في بلاد الشام حضارة الفنيقيين والكنعانيين والأنباط وغيرهم، وذلك نتيجة لموقعها الجغرافي المميز والهام في خارطة العالم، وتحكمها بطرق التجارة العالمية، ولموقعها المناخي الذي كان له دور في استقطاب العنصر البشري إذ إن مناخ بلاد الشام هو مناخ البحر الأبيض المتوسط الذي يسوده الاعتدال في أغلب فصوله.

عندما صبت الدراسة نظرها نحو متسلمية نابلس في العهد المصري والتي هي إحدى مدن الشام، وجد الباحث أن الحكم المصري كان له الأثر البالغ في تطويع ما اكتسبته متسلمية نابلس أثناء مسيرتها داخل دولاب الحكم العثماني، إلا أنها وجدت نوعا جديداً من الإدارة والأنظمة السياسية في الحكومة المصرية التي أدخلها

محمد علي باشا ونجله إبراهيم باشا، ولعل مرد ذلك إلى تأثر محمد علي باشا بالأنظمة الأوروبية وبخاصة فرنسا، إلا أن الحكم المصري قد استفاد كثيرا من الترتيبات الإدارية العثمانية.

لقد كانت نابلس ذات تأثير واضح في تدخلها الإداري في بلاد الشام، حيث إن كثيراً من شيوخ المدينة وأمرائها لم يكونوا متقوقعين في نابلس فحسب، وإنما تركوا بصماتهم في سواها من المدن الشامية الأخرى ففي العهد المصري نجد الشيخ قاسم الأحمد ونجله الشيخ محمد قاسم وغيرهما قد شغلا منصب متسلم القدس، التي كانت مركزاً أساساً للحكم المصري في فلسطين، والشيخ حسين عبد الهادي ولاه المصريون أمر صيدا وهناك غيرهم من النابلسيين الذين تولوا الوظائف الإدارية في يافا وغزة وغيرها من المدن الشامية.

إن وقوع نابلس على الطريق التجاري الشامي أعطى للمدينة دوراً تاريخياً وتجارياً واجتماعياً مميزاً؛ فإن وقوعها على طريق الحج الشامي قد أوجب على أهلها المساهمة بتزويد بعض نفقاته لأمير الحج في كل عام. فقد كان هناك باشا الدورة الذي كان يدور على المدن لجمع الأموال للإنفاق على قافلة الحج الشامي من نابلس والقدس.

إذن فقد شغلت متسلمية نابلس في العهد المصري مكانة مميزة استمرت قرابة عقد من الزمن، حيث وجد الكثير من أهالي مدن الشام مع دخول الحكم المصري نوعاً من الخلاص من فترة الشدة والضغط المالي والإداري الذي مارسه الحكم العثماني، وبداية لعهد جديد تمثل بدخول إبراهيم باشا إلى الشام، ولكن سرعان ما تغير هذا الرضا والاطمئنان إلى ثورات عمت مدن الشام فجَّرتها إجراءات محمد علي باشا ونجله إبراهيم باشا اللذين فرضا كثيراً من الضرائب، واستحدثا الكثير منها، وتعسفا بطرق جبايتها. بالإضافة إلى فرضهما التجنيد الإجباري، وكان للطريقة التي نزع بها السلاح دور في هذه الثورات، لأن نزع السلاح أمر لم يعتد عليه سكان نابلس وغيرهم من العرب الشاميين في بلاد الشام، فأدى ذلك كله إلى نشوب نار الثورات التي عصفت بالحكم المصري في بلاد الشام.

ولابد من الإشارة إلى أن متسلمية نابلس، وبالرغم من الثورة التي قامت في وجه إبراهيم باشا، والتي كانت نهايتها مصرع قادتها، وفشل القائمين عليها، إلا أن المدينة قد عاشت فترة مشرقة من الزمن في ظل الحكم المصري الجديد بإدارة منظمة كفلت الأمن والاستقرار النسبي في طرق مواصلاتها، وحدودها، وظهر أثر ذلك على التجارة والصناعة والزراعة.

تناول العديد من المؤرخين والباحثين تاريخ مدينة نابلس بالدراسة التاريخية من معظم جوانبها وفتراتها، وظهرت كثير من الدراسات والأبحاث التي حاولت التقرب من متسلمية نابلس في العهد المصري، ومن هذه الدراسات اطروحة أكرم الراميني الموسومة بعنوان "نابلس في القرن التاسع عشر"، وقد تناول فيها مدينة نابلس في فترة قرن من الزمان، وقد تطرق فيها لمختلف نواحي الحياة في نابلس، ودراسة إحسان النمر في كتابه" تاريخ جبل نابلس والبلقاء"، والواقعة في أربعة أجزاء، هي دراسة تركز على حيثيات مدينة نابلس التاريخية من كافة وجوهها الاجتماعية والاقتصادية في فترة الحكم العثماني والانتداب البريطاني، إلا أنهما وعلى الرغم من زخم المعلومات وغناها، لم تتناولا متسلمية نابلس في فترة الحكم المصري بنوع من التخصيص والتوضيح الشامل لهذه الفترة الهامة، على الرغم من أهمية هذه الفترة التاريخية في رسم مستقبل نابلس، وما جرى فيها من أحداث تستحق البحث والتقصي.

ويوجد عدد من الدراسات التي تناولت مدينة نابلس على مر عصورها التاريخية، ومنها: "نابلس في العصر المملوكي648- 923هـ- 1250- 1517م"، لرئيسة طلب العزة، و"تاريخ مدينة نابلس 2500ق.م- 1918م، لعبد الله كلبونة، و"قصة مدينة نابلس" لمسلم الحلو، وهي دراسات على الرغم من أهميتها، وعظم الجهود التي بذلت في إعدادها لم تتطرق الى دراسة متسلمية نابلس في عهد محمد علي باشا ونجله إبراهيم باشا بشكل تفصيلي أيضا. لذلك رأى الباحث إفراد هذه الأطروحة لتسليط الضوء على متسلمية نابلس في العهد المصري بنوع من التخصيص لما اشتملت عليه هذه الفترة من تطورات على كافة الصُعد السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية، ولم تتناول هذه الدراسة الجانب الثقافي التعليمي

الذي شهدته المدينة في ظل الحكم المصري، وذلك لاتساع مجال العلم والثقافة في عهد محمد علي باشا ونجله إبراهيم باشا الذي انشأ المعاهد العلمية وابتعث الطلبة لاكتساب العلوم الحديثة من الدول الأوروبية. لكن ذلك يبقى تطلعاً من قِبل الباحث لتناول هذا الجانب بالتوضيح والشمول في المستقبل "إن شاء الله تعالى".

لقد افتتحت الدراسة باكورة كل فصل من فصولها والجزئية التي يحتويها بمقدمة استهلالية تمهيدية توضيحية لماهية الفصل. صاغها الباحث ليقدم محتوى الدراسة، وتبيان ما يشتمل عليه الفصل من معلومات؛ لإيصال الذخيرة العلمية التي يحملها في طياته.

وقعت الدراسة في ستة فصول ابتدأ الباحث أولها بتمهيد عن الحضارات والأمم والشعوب التي وطئت أقدامها أرض مدينة نابلس من رومان وعرب ومسلمين ويهود ومسيحيين، فقد وقفت الدراسة على مخلفاتهم الصامتة التي تستنطق سر وجودها، وتناول الفصل ذاته تحليلاً لأهم المصادر والمراجع من سجلات المحكمة الشرعية في نابلس، وموسوعات، وكتب رحالة وجغرافيين، وغيرهم من المصادر والمراجع التي تم عرضها في نهاية الدراسة.

ولا بد من التأكيد على أن ما استقته الدراسة من سجلات المحكمة الشرعية التي تم توظيفها كمصدر تاريخي رئيس، انه قد تم التعامل مع هذه السجلات كنص ولم يتدخل الباحث في متن السجل بتعديل أو تبديل لأي مفردة أو مصطلح، وذلك لخلق نوع من الأصالة، ولكي يطلع القارئ على طبيعة هذه الحجج فيتعرف الى الأسلوب الذي صيغت به هذه الحجج ويطلع على المفردات والمصطلحات والمفاهيم التي كانت سائدة في تلك الفترة، ويتعرف الى الديباجة التي كان يتم فيها مخاطبة المسؤولين والموظفين الإداريين والدينيين؛ مع التأكيد على أن الدراسة لم تكتفِ بإيراد الحجة كما هي، وإنما قامت بتحليل واستنباط العديد من الأفكار والمعلومات من هذه السجلات، سواء أسماء المحلات(النواحي أو الأحياء) والخطوط(الطرق)، أو أسماء العائلات. بالإضافة إلى أن السجلات أعطت صورة واضحة عن أعمال الموظفين من متسلم ومفتي وقاضي وغيرهم. وصورت السجلات أشكال المعاملات اليومية والتجارية المعمول بها داخل أسواق المدينة، وحفظت كمَّاً من أسماء

الجوامع، وإشارات عن طبيعة الوظائف الدينية داخلها، وغيرها من المعلومات القيمة.

واختص الفصل الثاني في الحديث عن الأسماء التي تعاقبت على مدينة نابلس طوال تاريخها، ثم سلط الضوء على جغرافية المدينة، وذلك بالتطرق لتضاريسها، إذ تقع نابلس بين جبلي عيبال وجرزيم المرتفعين، بالإضافة إلى السهول والأودية والينابيع، وتناول هذا الفصل موقع مدينة نابلس وحدودها بالنسبة لبلاد الشام وتم تحديد الموقع الفلكي أيضا، وعرَّج الفصل على المناخ الذي ساد نابلس وهو مناخ البحر الأبيض المتوسط المعتدل، وتوضيح انعكاسه على طبيعة الحياة في المدينة، ووقف الفصل الثاني أيضا على أعداد السكان في المدينة، وعرض مجموعة من الإحصائيات السكانية التي شملت المدينة.

وفي الفصل الثالث عرَّجت الدراسة على الحياة الإدارية داخل متسلمية نابلس، وما طبق في بلاد الشام من تقسيمات إدارية قبيل الحكم المصري، وتوضيح الإصلاحات الإدارية التي ادخلها إبراهيم باشا بمساعدة والده محمد علي باشا على بلاد الشام، وتم توضيح ما اشتمل عليه السلك الإداري في المتسلمية من موظفين إداريين، ووضحت الدراسة أن المتسلم كان على رأس الهرم الإداري في المتسلمية، فقد أوكلت إليه كافة مهام الإدارة داخل حدود متسلميته، وتناولت الدراسة النواحي والقرى داخل المتسلمية بالإضافة إلى تناول السلك القضائي في المتسلمية، والأمن الذي ساد الطرق في الترحال والتنقل بين مدن الشام.

وقد وضَّح الفصل الرابع الحياة الاقتصادية التي عاشتها نابلس في ظل الحكم المصري لبلاد الشام وطبيعة الأراضي وحجم الزراعة التي عملت حكومة محمد علي باشا وإدارة إبراهيم باشا على تطويرها من خلال تقديم الأموال والقروض للفلاحين، ثم تبدل الأمر في نابلس عندما تضاعفت الضرائب وتكاثرت، والتي استحدث بعضها من الحكم العثماني ودخلت باب الحكم المصري كضريبة الفردة والميرى وغيرها من الضرائب التي استمر العمل بها في الحكم المصري والزيادة عليها، وهناك ضرائب استحدثتها الحكومة المصرية لسد النقص والعجز المالي في الخزينة الخديوية، وتطرق الفصل إلى الحرف والصناعات والتجارة التي

سادت نابلس في ظل الحكم المصري، وتناول الفصل أيضا النظام المـالي النقـدي وأنواع المسكوكات التي راجت في ظل الحكم المصري، وكذلك الأوزان والمكاييـل والمقاييس.

تناولت الدراسة في فصلها الخامس الناحية الاجتماعية والدينية التي وجدت في المدينة إلى نهاية الحكم المصري من البنية الاجتماعية للمدينـة، وعـرّج هـذا الفصل على الثورة التي قادها شيوخ وأهالي نابلس ضد الحكم المصري معبرين عن استيائهم ورفضهم للإدارة المصرية التي لم تحقق أمانيهم في الرخـاء الاقتـصادي، وإنما أثقلت كاهل المواطن، وضيقت عليه في مصادر رزقـه، وتناولـت الدراسـة الأسباب المباشرة وغير المباشرة للثورة، وتحدثت عن المجريات وما أسفرت عنـه من فشل وملاحقة لقادتها في مدن الشام وتصفيتهم، ثم تناول الفصل التجانس الطائفي الذي وجد في المدينة فقد احتضنت نابلس إلى جانب المـسلمين الـسامرة واليهـود والنصارى، وتم التطرق لكل طائفة من هذه الطوائف على حدة، وأوضحت الدراسة العلاقة التي كانت تربط هذه الطوائف بعضها بعضاً، واحتوى الفصل أيـضا علـى وصفٍ لمجموعة من أهم الجوامع والمقامات والكنائس التي حضنتها نابلس ضـمن المنشآت الدينية، وتم تناول المنشآت العامة من منازل وحمامات عامة وغيرها مـن الآثار بجبلي المدينة وقراها.

وفي فصل الدراسة السادس كان التطرق إلى الكيفية التي تمـت بموجبهـا نهاية الحكم المصري في بلاد الشام، وما جرى من تحالفات أوروبيـة مـع الدولـة العثمانية في السعي لإنهاء الوجود المصري من بلاد الشام، وأسفرت عـن خـروج المصريين بعد عقد من الزمان عاشته بلاد الشام تحت سيطرة محمد علي باشا ونجله إبراهيم باشا، فقد خرجت القافلة المصرية بسياستها وعساكرها من بلاد الشام، لكـن البصمة الحضارية التي خلفتها إدارة محمد علي باشا وإبراهيم باشا في بلاد الشام ما زالت باقية الى الآن.

وفي نهاية هذه الأطروحة قدم الباحث خاتمة شملت ما توصلت إليه فصول الأطروحة من نتائج، ثم عرض جميع المصادر والمراجع التي أفـادت منهـا هـذه الدراسة إذ حاول الباحث تقديم تحليلات للوقائع والأحداث التي مرت على متـسلمية

نابلس في العهد المصري، وهذا جهده يضعه بين أيديكم لعله يسد به فترة تاريخية حافلة بالتطورات لم تعطَ حقها بالشكل الكافي الصحيح، وما أدعي الكمال فالكمال لصاحبه عز وجل، ولكن شرف الاجتهاد هو مطمع كل باحث.

1. 2 تحليل بعض المصادر والمراجع.

سجلات المحكمة الشرعية في نابلس:

وهي عبارة عن تسجيلات على أشرطة ميكروفيلم محفوظة في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، واستفادت الدراسة من السجلين9 و10 اللذين يقعان ضمن فترة الرسالة، حيث يقع السجل 9 في الفترة من 1240-1254هـ/ 1824- 1829م، والذي كان استلهاماً تقديمياً لبداية العهد المصري في مدينة نابلس. لكن السجل10 والذي يبدأ في سنة 1255- 1262هـ/ 1830-1845م، يعتبر ذا أهمية بالغة لتربعه على طول فترة الدراسة 1247- 1256هـ/ 1831- 1840م بل ويستمر الى ما بعد نهاية الحكم المصري لبلاد الشام.

تتبع أهمية السجلات من كونها ترصد الوقائع والأحداث اليومية التي تجري على الساحة النابلسية بعامة، والحديث فيها غير مقصور على فئة دون أخرة؛ إذ يجد المتصفح لهذه السجلات أنها تحوي موضوعات تتضمن مختلف شؤون طبقات المجتمع النابلسي، فقد اشتملت السجلات على حجج وإعلامات، وتَرِكَات، وإرث، وأوقاف، وإيرادات، ومراسلات صادرة، وواردة وبلاغات ووكالات ووصايا ودعاوى، وفرمانات، وأوامر سلطانية، وعقود زواج، وطلاق وخُلع، وعقارات بيع وشراء وصفت العقار بدقة من ناحية عدد طبقاته، ومكونات كل طبقة. ويجد القارئ للسجلات ذِكراً لأسماء أشخاص لم تطأ أقدامهم أرض المحكمة فقد يأتي في سياق الوصف لأي موقع مثل الدار الكائنة بجانب دكان فلان ودكان فلان والمقابلة لدار فلان بن فلان...

تعتبر سجلات المحاكم الشرعية ذات أهمية كبيرة في تقديم معلومات يومية عن الأحداث التي تطرق باب المحكمة الشرعية؛ فالسجلات خُطت ودُوِّنت لحفظ حقوق المواطنين والرعايا، إضافة لما يوجد بين ثنايا الحجج من أسماء للمحلات،

والخطط، وأسماء الموظفين والعائلات التي تسكن بداخل تلك المناطق إضـافة إلـى أسماء الجوامع والأسواق التجارية وأرباب الحرف المختلفة.

ومما يبهجُ الدارسَ والقارئ أنَّ جميع هذه المعلومات الواردة في السجلات الشرعية تم توثيقها بدقة متناهية، وبطريقة مرتبة وفق سجلات سنوية مؤرخة باليوم والشهر والتاريخ الهجري([1])، ومما يجعل الأفق يتسع داخل هذه الحجج أنها لم تكتب وتحفظ وتؤرخ وتوثق لخدمة علم التاريخ، مما يجعل الدراسة لهذه السجلات أمراً فيه نوع من الإبحار في توظيف مصدر جديد ومهم مـن مـصادر التـاريخ الحـديث والمعاصر ألا وهو سجلات المحاكم الشرعية، ويمكن للباحث في مجـال التـاريخ تطويعها لتصبح مصدراً أصيلاً ضمن مصادر دراسته، فهي سجلاتٌ تـشتمل علـى معلومات غنية من تسجيلات يومية موثقة بدقة؛ إذ يشعر القارئ من خلال تفصيلات كل حجة وكأنه جالسٌ مستمعٌ للقاضي في غرفة المحكمة لشدة الوصف والدقة فـي صياغة الحجج.

عبد الغني بن إسماعيل النابلسي (ت 1143هـ/1731م)، الحقيقة والمجـاز فـي الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز:

يعتبر عبد الغني النابلسي من الرَّحالة العرب المسلمين الذين جابوا أصـقاع بلاد الشام ومصر والديار الحجازية. فقد كانت كتاباته نابعة من المشاهدة على أرض الواقع، وقد عاش عبد الغني النابلسي ما بين القرنين 11و12م حيث بلغ من العمـر 90عاماً ونيف، واشتهر بمؤلفاته العديدة التي منها أوصاف الرحلات التي قام بها ما بين دمشق والقدس، وقد دخل النابلسي إلى فلسطين وجابها بلدةً بلدةً بل قريةً قريـةً، وكان ينزل في القرى التي يصل إليها، ويصف طبيعة أهلها وحياتهم العامة بأسلوب السجع، وكثيراً ما ينطق ارتجالا بعض أبيات من الشعر في تلك المنطقة، ويثبت هذه في وصفه. وقد زار النابلسي مدينة نابلس سـنة1101هـ/ 1690م. واسـتغرقت رحلته كاملة388 يوماً.

قَسَّمَ النابلسي كتابه إلى ثلاثة أقسام، جعل القسم الأول في التجوال في البلاد العربية الشامية، والثاني في البقاع المصرية، والثالث في الوصـول إلـى الـديار

([1]) هناك بعض الحجج ذكر فيها تاريخ السنة فقط دون اليوم والشهر.

الحجازية، حيث يصف النابلسي في مؤلفه الأماكن التي وطأت قدماه عليها وصفاً دقيقاً، وبخاصة فيما يتعلق بالمزارات والأماكن الدينية: المساجد والمقامات وقبور الصالحين.

استفادت الدراسة من هذا المَعين الذي يُعد مرآة حقيقية تعكس واقع مدينة نابلس من خلال زيارته إليها ومكوثه فيها ووصفه لخيرات المدينة من الزراعة وطبيعة التضاريس فيها إضافة إلى العادات التي كانت سائدة عند أهلها.

إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء:

جاء كتاب إحسان النمر تاريخ جبل نابلس والبلقاء في أربعة أجزاء لم تؤلف دفعة واحدة، وإنما تم كتابة اجزائه في فترات مختلفة متباعدة؛ إذ تمَّ التطرق لمدينة نابلس في العهد العثماني، والعهد المصري، وفترة الانتداب البريطاني وأسهب في توضيح الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة نابلس، وتنبع قيمة هذا الكتاب في انه خط بيد أحد أبناء نابلس، وأن كل تسجيلاته عن مدينة نابلس نابعة من معاصرين لفترة الحكم المصري والعثماني، ومنقولة بالسماع عن أجداده بطريقة متواترة كتابيا أو نقلاً قصصياً شفوياً، وأنَّ بعض تسجيلاته نبعت مما لمسه، ووقع بصره عليه من المخلفات الأثرية المعمارية سواء المدنية أو الدينية، فقد رسم صورة واضحة لطبيعة الحياة في نابلس وأسهب في توضيح أسماء وكنى العائلات التي سكنت نابلس.

مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين:

أفرد الدباغ الجزأين الأولين من كتابه بلادنا فلسطين، الواقع في10 أجزاء، للحديث باسترسال عن الديار النابلسية التي أولاها اهتماماً كبيراً حيث إن القارئ المتصفح لكتابات الدباغ عن مدينة نابلس يجد أنه قد تناول المدينة من رأسها إلى أخمص قدميها، فقد وصف لنا طبيعة المدينة جغرافياً من أنهار وينابيع وسهول ووديان وجبال، بالإضافة إلى المناخ ثم عرَّج في الحديث على الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والتطور الذي شهدته المدينة على مر العصور، وما احتضنته من حضارات وشعوب ودول. لذلك رأت الدراسة في مؤلفه ذخيرة علمية غير منقطعة في غالبية فصولها مما جعل الاستفادة من كتابه ضرورة ملحة على الدوام فقد كان أسلوبه واضحاً ويسيراً لا تعقيد فيه، ويجد فيه الباحث في مختلف

مدن فلسطين معلومات رصينة واضحة يسهل طلبها إلى مائدة العلم والبحث، ويتصف الكتاب بالموضوعية والتنوع في مختلف أجزاء كتابه.

سليمان أبو عز الدين، إبراهيم باشا في سوريا:

احتوى كتابه عدداً من الجداول والخرائط والرسوم الخاصة بتاريخ سورية في عهد إبراهيم باشا، فقد استهل أبو عزالدين كتابه بالحديث عن محمد علي باشا منذ ولادته إلى توليه عرش مصر. فقد بيَّن أبو عزالدين أنَّ النصف الثاني من ق18م قد شهد ولادة عدد من عظماء الرجال، وخص بالذكر نابليون بونابرت القائد الفرنسي المشهور، ومحمد علي باشا عزيز مصر، وهو يتحدث في كتابه عن طموح محمد علي في الاستيلاء على بلاد الشام التي كانت تنعت باسم سوريا، ويصف كل موقعة بينه وبين العثمانيين فأحياناً يطلق عليها اسم موقعة وتارة أخرى يطلق عليها اسم فتح كفتح عكا وفتح دمشق وموقعة بيلان وقونية. ثم يسهب أبو عزالدين في الحديث عن التقسيم الإداري لبلاد الشام، والقضاء والمالية والحياة الاقتصادية التي استشفت منها الدراسة صورة علمية تاريخية عن مدينة نابلس، بالإضافة إلى انه يتطرق للحديث عن الثورات التي قامت في وجه حكومة محمد علي، ومنها: ثورة نابلس وقد أطلق عليها وكثيراً من المؤرخين اسم ثورة فلسطين، لاتساعها وشمولها ومشاركتها في ثورة القدس والخليل وغيرها، وقد تناولت الدراسة هذه الثورة وخصتها بحديث موصول كاشف، ثم يعرِّج أبو عزالدين في الحديث على نهاية الوجود المصري في سورية، وذلك بانسحاب إبراهيم باشا، وأثر حكومة محمد علي باشا في بلاد الشام.

أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية بيان بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد محمد علي الكبير:

يقع هذا الكتاب في أربعة مجلدات وكل مجلد يتحدث عن فترة زمنية محدَّدة:

المجلد الأول: من سنة 1225- 1247هـ/ 1810- 1832م

المجلد الثاني: من سنة 1248- 1250هـ/ 1832- 1835م

المجلد الثالث: من سنة 1251- 1254هـ/ 1835- 1839م

المجلد الرابع: من سنة 1255- 1256هـ/ 1839- 1841م

يعد هذا المؤلف بياناً لجميع وثائق الشام المحفوظة والموجودة في المحفوظات الملكية المصرية التي تعود إلى عهد محمد علي باشا، ويعتبر هذا الكتاب خيرُ دليل للمؤرخين في هذه الحقبة من تاريخ الأقطار العربية، إذ تحتوي المحفوظات الملكية المصرية في الوقت الحاضر على ثلاثة أقسام رئيسة هي: محفوظات سراي عابدين الملكية، ومجموعة الدفتر خانة المصرية، وسجلات القضاء الشرعي.

المحفوظات الملكية المصرية عبارة عن مجموعة دفاتر وأوراق والدفتر ثلاثة أنواع: دفاتر تنسيق وترتيب، ودفاتر قيودات، ودفاتر فهارس، وتشمل دفاتر القيودات الإيرادات والايفادات السنية وقرارات المجالس والدواوين، والصادر في محتويات الدفتر محفوظ بنصه الكامل أما الوارد فهو ملخص تلخيصا. أما أوراق المحفوظات فإنها إيرادات سنية صادرة، أو مفاوضات واردة، أو فرمانات سلطانية أو غيرها، وتغلب اللغة التركية على العربية في مفاوضات النصف الأول من ق19م، ثم تقوى العربية على التركية تدريجيا في النصف الثاني من القرن نفسه حتى تطغى عليها، ولهذا كان قد ترجم المهم منها أما اللغات الأجنبية فإنها نادرة الوجود بين المحفوظات التي تعود إلى عهد محمد علي باشا حيث احتوت المحفوظات الملكية المصرية على الجرنال: وهو بيان يومي بأعمال الهيئات الإدارية أو زبدة المصالح بلغة الأوراق نفسها فالجرنال كان يقدم شورى الخاصة مرة أو أكثر كل أسبوع([1]).

ونتيجة لذلك فقد استفادت الدراسة من هذه الوثائق الغنية بالمعلومات الضرورية والهامة؛ إذ ما برحت الدراسة تستقي من نبعها لما احتوته من نصيب وافر من المراسلات اليومية عن تطور الأوضاع في بلاد الشام، سواء بين إبراهيم باشا في الشام ووالده محمد علي باشا في مصر، أو بين إبراهيم باشا وقادته وعماله في مختلف الأقاليم، وكذلك أبيه.

([1]) أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية بيان بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد محمد علي الكبير، م1، المطبعة الامريكية، بيروت، 1940- 1942م، ص ز- ع، سيشار اليه فيما بعد اسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية.

محمد علي الأنسي، قاموس اللغة العثمانية المسمى الدراري اللامعات في منتخبات اللغات:

يعد هذا الكتاب قاموساً للغة العثمانية مكتوبا باللغة العربية، وفيه مادة علمية غنية لتفسير معاني المصطلحات العثمانية وتوضيحها، إذ إن محمد علي الانسي كان باشكاتب محكمة بداية بيروت، ويحتوي قاموسه على الكلمات التركية والألفاظ الفارسية، والإفرنجية المتداولة في اللغة العثمانية، والقاموس مرتب ضمن الأحرف الهجائية للغة العربية، مما يُسهّل على الباحث عن المصطلح العثماني الوصول إلى المعنى المراد معرفته حيث فُسر كل معنى بطريقة واضحة ميسرة، وغير مطولة.

الموسوعة الفلسطينية: هيئة الموسوعة الفلسطينية، تتمثل برئيس مجلس الإدارة احمد المرعشلي، ورئيس التحرير عبد الهادي هاشم، والمستشار أنيس صايغ:

ركزت الموسوعة الفلسطينية في بداية حديثها عن مدينة نابلس على تاريخها، وما توالت على المدينة من حضارات، سواء حضارة الرومان أو العرب المسلمين والصليبيين والدول الإسلامية التي نثرت تاريخها في أرض مدينة نابلس، ثم تعرضت الموسوعة إلى أصل التسمية والأسماء التي نعتت بها نابلس، وبعد ذلك تطرح الأوضاع الطبيعية من تضاريس ومناخ، بالإضافة إلى ذكر أهم المنشآت الدينية والمدنية التي تستقر على أرض المدينة كالمساجد والمزارات والآثار والمنازل المتعددة.

وهذا ديدن غيرها من الموسوعات التي تناولتها الدراسة مثل: "موسوعة معجم بلدان فلسطين" لمحمد شراب، و"موسوعة المدن الفلسطينية" لمسلم الحلو، و"موسوعة كل مكان وأثر في فلسطين" ترجمة عيد حجاج، و"موسوعة المدن والقرى الفلسطينية" لآمنة أبو حجر، لقد اتصفت هذه الموسوعات بتنوع معلوماتها فإذا اقتضبت وشحت بعض المعلومات في إحدى الموسوعات نجد في غيرها تفصيلاً واسترسالاً، فالموسوعة تعتبر كماً هائلاً وكبيراً من المعلومات اللطيفة ذات الأبعاد المختلفة لذلك لا تكاد تخلو دراسة دون الرجوع إلى عدد من الموسوعات الخاصة بموضوع الدراسة.

ياقوت الحموي، معجم البلدان:

هو شهاب الدين أبو عبـد الله يـاقوت بـن عبـد الله الحمـوي الرومـي البغدادي(ت626هـ/ 1228م)، ولا يعلم شيء عن تاريخ مولده لأنه أُخِذَ في صغره أسيراً من بلاد الروم إلى بغداد مع الأسرى فاشتراه تاجرٌ اسـمه عـسكر الحمـوي فنسب إليه، وقيل له ياقوت الحموي، وهذا التاجر كان جاهلا في الخط فوضع ياقوت في الكُتّاب، ليتعلم وينتفع به لأعمال التجارة. فتعلم ياقوت النحو واللغة، وبعد فتـرة أعتقهُ التاجر فعمل ياقوت في نسخ الكتب واحتوى مؤلفه على عدة أجـزاء مرتبـة حسب الأحرف الهجائية من الألف إلى الياء، وتناول موضوعات بشكل مباشر وبلغة سليمة واضحة سهلة الفهم على القارئ، حيث أورد سبب تسمية نابلس بهذا الاسـم، والذي يعود إلى ناب الحية التي اسمها لُس، والتي عدها معظم المؤرخين أنها قـصة اسطورية إن لم تكن خرافية، وذلك لان ياقوت نقلها عن إحدى أهالي مدينة نـابلس أي من عامة الشعب بالإضافة إلى وقوف ياقوت الحموي على ذكـر ميـاه نـابلس الجارية ومزروعاتها التي تغلب شجرة الزيتون على معظم أشجارها.

أكرم الراميني، نابلس في القرن التاسع عشر:

لقد كان هذا الكتاب عبارة عن أطروحة لنيل درجة الماجستير في التـاريخ في الجامعة الأردنية. تناول الراميني مدينة نابلس ضمن فترة طويلة هي قرن مـن الزمان إذ سلط الضوء على مدينة نابلس في القرن التاسع عشر مـن عـدة نـواحٍ اجتماعية واقتصادية وادارية فقد أتسم كتابه بالشمول. وانه قـد وقـع فـي بعـض الهفوات أظهرها إحسان النمر في كتيبه الموسوم بعنوان" نقد رسالة الرامينـي عـن نابلس"، وإن هذه الدراسة قد اطلعت على ذلك كله، وانعمت النظر إليـه وخرجـت بصورة جلية ايجابية توضيحية أعانت موضوع الرسالة لما اشـتمل عليـه كتـاب الراميني من موضوعات هامة زاد في عنايتها وتقويمها نقد إحسان النمر.

نبال تيسير خماش، تراجم مدينة نابلس وريفها في 900عام:

جاء الكتاب على شاكلة كتب التراجم التي تتناول كل شخصية علـى حـدة وتحللها. بدأت نبال خماش من الحياة الاجتماعية للمُترجَم له فتحدثت عـن ولادتـه ووفاته والدور الذي لعبه في مدينة نابلس سواء أكان أديبا أم فنانـا أم اقتـصاديا أم

سياسيا، ومما أضفى رونقا على الكتاب هو ربط كل شخصية مع ما قبلهـا أو مـا بعدها بصورة خلقت تناغماً وترابطاً كشبكة عنكبوتية ضمت شخصيات على مـدى9 قرون.

وأسهبت خماش في طريقة عرضها للترجمة، فلم تتناول مدينة نابلس، على الرغم من كثرت ما وجد فيها من شخصيات، وإنما تطاولت إلى ريفها فأخرجت منه عدة تراجم كانت متقوقعة في مكانها غير مشهورة كالشخصيات القاطنة في المدينة. في حين كان أسلوب العرض يسيراً يميل إلى الوضوح وعدم التكلف، وحقق الكتاب التناسق بين أجزائه مما أضفى على الكتاب جواً من الكياسة في الحوار.

القاضي ببير كرابيتس، إبراهيم باشا:

هو عبارة عن مقال كتبه كرابيتس في مجلة المقتطف، والتي نشأت في سنة 1876م على يد الدكتور يعقوب صروف والدكتور فـارس نمـر، حيـث وضَّـح كرابيتس في مقالته عن إبراهيم باشا تحليلاً لحياته، وللأعمال التي قام بها في بـلاد الشام عندما ضمها إلى ملك والده محمد علي باشا، والكيفية التي تعامل بها إبـراهيم باشا مع سكان البلاد والمدن التي ضمها للحكم المصري.

بهجت صبري، المظاهر العمرانية في مدينة نابلس خلال النصف الأول من القـرن التاسع عشر الميلادي:

يشتمل مقال بهجت صبري المنشور ضمن مجلة النجاح في نـابلس علـى المظاهر العمرانية التي تطورت، وما صاحبها من تغيير سواء في الشكل أو البنيـة بأكملها، فقد وصف المنازل، وما احتوته من طبقات ووصف كل طبقة وما تحـوي من غرف عدة، وما يوجد فيها من مرافق عامة، وخزان المياه الذي يعتبر صهريجاً تتجمع فيه المياه في فصول الشتاء، حتى يتم استغلالها في فـصل الـصيف الحـار الجاف، وركز بهجت صبري على الأشكال العمرانية المتعددة، وما احتـوت عليـه المدينة من أزقة ومحلات (نواحي)، وعقبات (المكان المرتفع). بالإضافة إلى عـدد من الأشكال العمرانية الأخرى التي استفاد النابلسيون فـي بنائهـا مـن الحجـارة الموجودة في المنطقة من جبلي عيبال وجرزيم.

الأب لامنس اليسوعي، إبراهيم باشا في سورية:

هو مقال كتبه لامنس في مجلة المشرق، وهي مجلة كاثوليكية تحتوي مباحث علمية، وأدبية، وفنية، بإدارة آباء كلية القديس يوسف لصاحب امتيازها الأب لويس شيخو اليسوعي، لقد أوضح لامنس الأوضاع الإدارية والحياة الاجتماعية والاقتصادية التي عاشتها سورية عند دخولها تحت سلطة إبراهيم باشا حيث إن سورية في البداية استقبلت إبراهيم باشا استقبال الفاتح المحرر، ثم ما برحت أن وجدت نفسها في قصر جديد من السطوة والتضييق، فضجَّت وثارت ثائرتها، ثم يذكر لامنس ما قام به إبراهيم باشا سعيا لتهدئة الأوضاع السياسية والإدارية في المنطقة.

أمين محمود، الإدارة المصرية في بلاد الشام وبداية ظهور المسألة الفلسطينية 1831- 1840م:

فصّل أمين محمود الهيكل الإداري الذي ساد بلاد الشام أثناء الوجود المصري في مقالته المنشورة في المجلة العربية للعلوم الإنسانية. فقد تناول أمين محمود في البداية الوظائف العليا في السلك الإداري المصري، ثم عرج على الوظائف التي كانت منتشرة داخل الإقليم والمتسلمية بعامة في بلاد الشام، وما يميز الوظائف التي تناولها أمين محمود هو التركيز ليس فقط على طبيعة الوظيفة بل الولوج في تحليل الشخصية التي كانت تتولى هذه الوظيفة أو تلك؛ ومثال ذلك شخصية حنا بحري الذي شغل منصب المشرف المالي العام في الحكومة المصرية، وكذلك شخصية محمد شريف الذي كان حكمدار إيالات(ولايات) الشام وغيرهم، وكأنه يريد أن يوصل القارئ إلى أثر التركيب والانعكاس الشخصي على القرارات والإجراءات الناتجة عن الموظف.

مواقع الانترنت:

تزودت الدراسة بعدد من مواقع الانترنت -المرفقة في قائمة المصادر والمراجع- التي اتصفت بأسلوب السلاسة. فقد كانت موجزة في تناول المعلومات والأحداث، وعدم التركيز على حدث أو ظاهرة معينة، ومحاولة معالجتها بأسلوب منهجي. إذ يمكن وصف المعلومات الواردة في مواقع الانترنت بأنها معلومات ذات

أبعاد مقتضبة تضع المتصفح لها في قلب الحدث دون الإحاطة بالموضوع من كافة جوانبه، وعلى الرغم من ذلك فإن موضوعاتها مرنة تخلو من الالتباس أو التضارب في أفكارها، وقدمت هذه المواقع على شبكة الانترنت بوتقة من الأحداث عن مدينة نابلس على مر تاريخها، حيث أفادت ثنايا هذه الدراسة في صقل الحياة التي عاشتها المدينة كلما تعاقبت عليها حضارات وأمم حطت أقدامها في نابلس، فالانترنت يعتبر مركزاً وصرحاً علمياً حديثاً ضخمةُ حدوده كثيرةٌ فوائده، فهو عقلٌ ويدٌ تسند الباحث لصبغ علمه بصفة الشمول.

1. 3 التمهيد:

نبذة تاريخية عن مدينة نابلس.

تعتبر مدينة نابلس كغيرها من مدن بلاد الشام (دمشق، حلب، حمص بيروت، صيدا، طرابلس، القدس، يافا، غزة، عمان، البلقاء، الكرك) التي قامت على أرضها العديد من الحضارات ووطئ أرضها كثير من الأمم والشعوب، فقد عاصرت مدينة نابلس دولاً وشعوباً تركت بصمات واضحةً وخالدة في المدينة، وتمثلت تلك البصمات التي تعتبر شاهداً مادياً، في الأماكن الأثرية المتعددة المنتشرة في أحياء المدينة وضواحيها، مما أضفى طابع الإرث الحضاري الذي اكتسبته نتيجة الوجود الروماني والإسلامي فيها، والعرب الكنعانيون الذين يعتبرون أقدم مَن سكن نابلس.

وقد لعبت عدة ظروف وأسباب لوجود هذه الأمم والشعوب، حيث إن تلك الحضارات ما كان لها أن تستوطن هذه المدينة أو تلك إلا لوجود ظروف طبيعية ومناخية ودفاعية شجعت في البداية على استقطابها والاستقرار فيها سكاناً ودولاً، ومن تلك الظروف: طبيعة مناخ نابلس المعتدل والذي استلهمته من مناخ البحر الأبيض المتوسط، إضافة إلى الموقع الجغرافي الاستراتيجي المتميز حيث تقع المدينة بين قلعتين شامختين أوجدتهما الطبيعة الإلهية هما جبلي عيبال وجرزيم فقد أعطى هذانِ الجبلان تحصيناً قوياً ثابتاً في وجه أي اعتداء خارجي، فهي مدينة محتضَنة من قِبل كفين مرتفعين، إضافة إلى البعد المكاني الذي تقع فيه المدينة فإنها

ترتبط وجبالها بسلسلة جبال القدس فهي ملتصقة جغرافيا بالقدس عاصمة فلسطين، حاضنة المسجد الأقصى المبارك، ومسجد قبة الصخرة المشرفة، وكنيسة القيامة، ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ومعراجه منه إلى سدرة المنتهى.

لا ريب أن مدينة نابلس ما فتئت تعاقب عليها حضارات وشعوب ودول متعددة تركت كل منها مخلفاتها التي تشهد بوجودها، فقد تناغمت تلك الحضارات داخل المدينة، ويُلمس ذلك من خلال فن العمارة فقد استفاد المعماريون من الحجارة المتوافرة في جبال نابلس، فأبدعوا في صقل وصياغة ترانيم الشكل والنوع فخرج البناء على درجة عالية من الهندسة المعمارية، وفن الخطوط الإسلامية الجميلة المتمثلة في المساجد والمقامات والمزارات والأماكن الأثرية المنتشرة في المدينة.

اعتبرت فلسطين قلب الوطن العربي لأنها تصل الأقطار العربية الآسيوية بالأقطار الإفريقية، وتعد مدينة نابلس القلب بالنسبة لفلسطين؛ ولأنها تقع في منتصف المدن الفلسطينية تصل شمالها بجنوبها، ولذلك فهي بمثابة المركز الحيوي في هذا القلب للمدن الفلسطينية([1])، ومدينة نابلس من المدن العربية الفلسطينية الموغلة في القدم([2])، فقد ورد ذكر مدينة نابلس في رسائل تل العمارنة، وتقارير(تحوتمس الثالث) حيث أشارت إلى أنَّ نابلس قد تأسست زمن الكنعانيين، وكانت إحدى مدنهم، حيث وردت باسم(Shakmi) شاكمي، وقد حُرِّف هذا الاسم فيما بعد إلى شكيم، وأول من سكن مدينة نابلس من العرب الكنعانيون هم: (الحَوِيون) و(الجرزيون)([3]).

تشير المصادر التاريخية الى أن وجود نابلس يرجع إلى الآموريين الساميين العرب الذين وُجدوا وسط فلسطين وشمالها، وجاءها في الفترة نفسها الكنعانيون، وأسسوا هذه المدينة فوق أنقاض تعود إلى العصر الحجري الحديث كما

([1]) مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، دار الهدى للطباعة والنشر، حيفا، 2002م، ص17؛ سيشار إليه فيما بعد الدباغ، بلادنا فلسطين.

([2]) رئيسة عبد الفتاح طلب العزة، نابلس في العصر المملوكي(648- 923هـ/ 1250- 1517م)، ط1، تقديم سعيد عبد الله جبريل البيشاوي، منشورات دار الفاروق للثقافة والنشر، نابلس، 1999م، ص17؛ سيشار إليه فيما بعد رئيسة طلب العزة، نابلس في العصر المملوكي.

([3]) مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، المشرف العام ورئيس التحرير حسين العَودات، المؤلفون مسلم الحلو وآخرون، ط1، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1990م، ص715؛ سيشار إليه فيما بعد مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية.

تدل عليه فخاريات مدينة أريحا، فبنوا قرية شكيم، وتعني المنُكب أو النَجْـدة حيث بنيت هذه القرية القديمة، إلى الشرق من المدينة الحالية قرب مخيم بلاطة الحالي([1]).

وعندها قدم إلى نابلس إبراهيم الخليل عليه السلام بعد هجرته من بلاد ما بين النهرين بعد مروره بحلب، ومن المرجح انه على جبل جرزيم عزم إبراهيم عليه السلام تقديم ابنه أضحية لله تعالى، وهذا ما يؤكده السامريون، وليس في جبل موريا في بيت المقدس كما يزعم اليهود. حيث يعود أقدم ما وجد في نابلس من أيام سيدنا إبراهيم من تاريخ إنها أول مدينة نزل فيها بعد أن قدم من أور في ق19 ق.م، وبنى فيها أول مذبح في بلاد كنعان حيث تذكر التوراة المكان الذي نزل فيه إبراهيم عليه السلام وهو شكيم باسم(بلاطة مورة) الذي يعتقد أنها تقع بجوار قرية بلاطة الحالية الواقعة على مدخل مدينة نابلس شرقا([2])، إذ إن الاسم الحالي لبلاطة قد حرف عن الاسم الأول.

واستمرت نابلس تستقبل ضيوفها الأنبياء حيث سكنها يعقوب بن اسحق عليه السلام بعد عودته من الجزيرة(ما بين النهرين أو العراق) والتي تركها بعد نزاع وقع بين أولاده شمعون ولاوي كما تقول التوراة([3]) وبين شكيم بن حمور الذي اعتدى على أختهم دينة أي دينونة التي أغواها، ودفعهم اعتداؤه هذا إلى هجومهم على سكان شكيم وقتلهم حمور وابنه، ونهبهم المدينة وهجرتهم إلى بيت إيل وهي قرية(بيتين) الواقعة شمال شرق البيرة إلا أنهم عادوا إلى مدينة شكيم ثانية، وبنى يعقوب ما يسمى بجامع الخضراء بعد موت ابنه يوسف وحزنه الشديد عليه([4])، ولم يرد ذكر مدينة نابلس بعدها حيث انقطع ذكرها في التوراة إلا بعد أن دخل يوشع المدينة بصحبة قومه وبنى على جبل عيبال مذبحا للآلهة، ويقول السامريون جبل

([1]) آمال عزت السجدي، بلدة نابلس القديمة في صور قبل الاجتياح الإسرائيلي في نيسان عام 2002م وبعده، مطابع الفنار، عمان، 2002م، ص14؛ سيشار إليه فيما بعد آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة.

([2]) مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، ص715

([3]) بعد أن عاد يعقوب من العراق من عند خاله لابان نزل في شكيم، واشترى من رئيسها حمور قطعة أرض نصب فيها خيمته، ومن المعروف أن يعقوب وهب هذه الأرض لابنه يوسف، والتي تقع فيما يقال شرقي نابلس بالقرب من بئر يعقوب الذي حفره بنفسه، والمعروف اليوم باسم بئر السامرية؛ الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص98- 99

([4]) مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، ص715

جرزيم، وقدّم قرابين السلامة، وربما كان المذبح هو الست سليمية، وهي عبارة عن صخرة على جبل عيبال، وهي تحريف السلايم أي ذبائح السلامة([1]).

وبعد انقسام اليهود على أنفسهم، وذلك بعد موت سيدنا سليمان حيث اتخذها يربعام بن نباط عاصمة له في سنة923ق.م([2])، والتي عرفت في التاريخ باسم المملكة الإسرائيلية، وعندما نقلت العاصمة من شكيم إلى سواها أخذت أهميتها تقل نوعا ما وخاصة عندما بنى عُمري بلدة السامرة التي تبعد8 كم عن مدينة نابلس مدينة(سبسطية) حالياً، والتي اتخذها عاصمة له([3]).

وقعت نابلس بأيدي الآشوريين الذين عاثوا في الأرض فساداً، وسبوا أهل السامرة – سبسطية– وخلفوا الفساد والخراب. وقد سكن شكيم فئة من اليهود لا تعترف من التوراة بغير الأسفار الخمسة المنسوبة إلى النبي موسى عليه السلام، وتعرف هذه الفئة بالسامريين نسبة إلى السامرة، وقد ناصبهم اليهود العداء منذ ظهورهم، ويرجح أن يكون اسم(Mabarakata) مابارکتا الآرامي، والذي يعني مدينة البركات قد أطلق على نابلس في عهد هؤلاء السكان؛ إذ يطلق السامريون هذا الاسم على جبل جرزيم حالياً، ولا يزال السامريون موجودين في مدينة نابلس حتى يومنا هذا([4]).

ونتيجة لموقع المدينة الاستراتيجي الهام اعتبرت نابلس عاصمة الإقليم الجبلي؛ فهي تقوم وسط منطقة غنية بينابيع المياه العذبة، لذلك امتازت بالثراء عبر حلقات التاريخ المختلفة، ووضع المدينة هذا جعل الإسكندر المقدوني يحتلها، ويسمح لحاكم شكيم سنبلط الذي أطاعه([5]) ببناء هيكل على جبل جرزيم، وتتضارب آراء المؤرخين حول تاريخ البناء فيذهب البعض أنه بني سنة 904ق.م بإذن من القيصر الفارسي دار يوسف، ويذهب آخرون أنه بني سنة 300ق.م، ويقول البعض من

([1]) آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص15

([2]) مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، ص715

([3]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص99

([4]) مسلم الحلو، قصة مدينة نابلس، سلسلة المدن الفلسطينية تصدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دائرة الإعلام والثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، (د. ن)، (د. ت)، ص34؛ سيشار إليه فيما بعد مسلم الحلو، قصة مدينة نابلس؛ انظر آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص15

([5]) رئيسة طلب العزة، نابلس في العصر المملوكي، ص17

المؤرخين أنه بني في ق5ق.م([1])، ويرجح الدباغ ومسلم الحلو أن الهيكل أقيم بنــاؤه سنة 409ق.م، وقد هدم المكابيون هذا الهيكل على يد يوحنا كافوس ســنة129ق.م، ودخلها المسيح عيسى عليه السلام حيث التقى مع المرأة السامرية قرب بئر يعقوب، ودار بينهما حديثٌ كما ذكر في إنجيل يوحنا الإصحاح الرابع([2]).

أما في الحروب الرومانية اليهودية فقد تمرد السامريون، وذُكر أن جمهوراً غفيراً منهم اجتمع على جبل جرزيم، واستعدوا لمقاومــة الرومــان الــذين احتلــوا فلسطين سنة63ق.م فأرسل إليهم فاسبسيانوس الروماني القائــد ســيرياليس حملــة عظيمة حاصرت المتمردين في جبل جرزيم، وقتلت منهم نحو11 ألــف شــخص، وهدمت المدينة، وكان ذلك سنة67م، وبعد سنة70م أمر فسبسيانوس بنقل حجارتها، وتجديد بنائها الذي هدم في غرب المدينة القديمة في مكان يقع إلــى الغــرب مــن مركزها الحالي، وأطلق عليها اسم(Flavia-Neapolis) فيلافيا– نيابوليس، وفيلافيا اسم عائلته، ونيابوليس يعني: المدينة الجديدة، ومنها لفظ مدينة نابلس الحالية، وفــي أوائل ق2م أقام الإمبراطور الروماني هدريان بمساعدة أهل صيدا الفنيقيــين هــيكلاً لجوبيتر على جبل جرزيم فكان بناؤه نقمة على السامريين لبنائه مكان هيكلهم([3]).

انتشرت المسيحية في مدينة نابلس في ق4م، وعلى إثرها ازدهرت مكانــة نابلس، وأصبحت مركزاً للأسقفية، أما في ق5م، وبعد أن اشتد الاضــطراب بــين المسيحيين واليهود بعد أن ذبح السحرة مسيحيي نابلس، أمر الإمبراطور زينو بطرد اليهود من جبل جرزيم، وبإقامة كنيسة على قمة جبل جرزيم، وهي كنيــسة مــريم العذراء التي بنيت مكان هيكل السحرة حيث أقام سور قوي متين حولهــا([4])، وفــي عهد الإمبراطور جستنيان527– 567م ثار السامريون، وعينــوا يوليــانوس ملكــا عليهم، ثم استولوا على نابلس، وقتلوا الكثير من أهــل المدينــة، وقتلــوا أســقفها، وكهنتها، ودمروا معظم القرى المجاورة، فأرسل الرومان عندئذ جنودهم لاســترداد نابلس، وإخماد ثورة السامريين حيث قتلوا الكثيــرين وبــاعوا عــدداً كبيــراً مــن

([1]) مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، ص715

([2]) آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص15

([3]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص101- 102

([4]) مسلم الحلو، قصة مدينة نابلس، ص35

السامريين كعبيد، وهرب الكثير منهم إلى بلاد فارس طالبين حماية ملكها كسرى. وأمر الإمبراطور جستنيان ببناء قلعة وسور خارج السياج الذي بناه الأمبراطور زينو حول كنيسة مريم العذراء، وأعاد بناء خمس كنائس كانت قد هدمت على جبل جرزيم([1]).

وتشرفت مدينة نابلس، بعد هذه الأحداث والحضارات والأمم والشعوب التي نزلت المدينة، بدخولها في ظل الإسلام، وذلك عندما فتحها القائد العربي المسلم عمرو بن العاص في عهد الخليفة أبي بكر الصديق11- 13هـ/ 632- 634م، فقد عقد أبو بكر الصديق رضي الله عنه جيوش لأربعة من كبار الأمراء والصحابة([2]) حيث أن عمرو بن العاص فتح غزة وسبسطية ونابلس، وأعطى الأمان لأهل هذه المدن على أنفسهم وأموالهم ومنازلهم. وأن الجزية على رقابهم، والخراج على أرضهم([3])، وبذلك تكون مدينة نابلس قد دخلت عهداً جديداً في حياتها، ضرب جذوره في تاريخ المدينة إلى يومنا هذا، وهي مرحلة لها طابع ميز المدينة كما ميز المدن التي فتحها الإسلام، والتي عاشت روح ونبضة الإسلام الذي أعطى ولم يأخذ، وترك أخلاقاً تختلف عما عاصره سكان المدينة فيما سبق.

وازدهرت نابلس في عهود الدول الإسلامية؛ فقد كانت نابلس بعد الفتح الإسلامي إحدى المدن المكونة لجند فلسطين، وحينما قامت الدولة الأموية على يد معاوية بن أبي سفيان سنة40هـ/ 661م أصبحت نابلس تابعة لعاصمة الخلافة الأموية في دمشق، وبدخول عصر بني العباس، وقيام الدولة العباسية

([1]) مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، ص617؛ انظر الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص103- 104

([2]) عقد أبو بكر الصديق لواء لأربعة من كبار الصحابة لفتح بلاد الشام فالجيش الأول كان على رأسه عمرو بن العاص الذي توجه إلى فلسطين. أما الجيش الثاني فبقيادة شرحبيل بن حسنة، وكانت وجهته الأردن. أما الجيش الثالث فتولى قيادته يزيد بن أبي سفيان ووجهته دمشق، في حين تولى قيادة الجيش الرابع أبو عبيدة عامر بن الجراح الذي كانت وجهته حمص، وكان مركز القيادة منطقة الجابية، وقد جعل أبو بكر الصديق أبا عبيدة أميراً عاماً لهذه الجيوش الأربعة عند اجتماعها معا؛ عبد الله صالح كلبونة، تاريخ مدينة نابلس 2500ق.م- 1918م، ط1، طبع بتمويل من المهندس سعيد علي شرف، نابلس، 1993م، ص33؛ سيشار إليه فيما بعد عبد الله كلبونة، تاريخ مدينة نابلس.

([3]) البلاذري احمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1978م، ص34؛ سيشار إليه فيما بعد البلاذري، فتوح البلدان.

سنة132هـ/749م انتقلت تبعية مدينة نابلس إلى عاصمة العباسيين بغداد، واستمر ذلك إلى أن استأثر احمد بن طولون حاكم مصر العباسي الذي بسط نفوذه على بلاد الشام بمرأى من الخليفة العباسي فدانت مدينة نابلس بالولاء والتبعية للدولة الطولونية في مصر سنة264هـ/ 877م([1]).

ودخلت مدينة نابلس مرحلة عصيبة باستيلاء الصليبيين عليها فقد شملت الحروب الصليبية بلاد الشام، وامتدت تلك الحروب من سنة489- 691هـ/ 1096- 1292م، وقد نُعت الصليبيون في المصادر التاريخية العربية. وعند عامة العرب آنذاك باسم الفرنجة([2]) استولى الفرنجة على نابلس في أواخر تموز سنة 492هـ/1099م بقيادة تنكرد صاحب إنطاكية وحاكمها، وبنى بلدوين الأول أحد قادة الصليبيين، والذي أصبح ملكاً على القدس قلعة لحمايتها على قمة جبل جرزيم. ومما يجدر ذكره أن مدينة نابلس لعبت دوراً بارزاً في عهد الفرنجة إذ قام بلدوين الثاني سنة1120م بعقد مجمع كنسي كبير في نابلس([3])، ولم يغادر الفرنجة هذه المدينة إلا بعد أن تركوا بصمات واضحة دالة على وجودهم؛ فقد خلَّفوا وراءهم الآثار التاريخية، والدينية كالكنائس والأديرة([4]).

وقد زار المدينة في فترة الاحتلال الصليبي الرحالة المسلم السمعاني المتوفى سنة562هـ/ 1167م، وذكرها في كتابه الأنساب بقوله: (استولى عليها[مدينة نابلس] الفرنج والسلطنة لهم)([5])، وقد هيأ الله عز وجل للأمة العربية الإسلامية الأيوبيين لوضع حدٍّ فاصل في تاريخ الحروب الصليبية بخاص، والتاريخ بعامة فقد دخل الأيوبيون مدينة نابلس سنة580هـ/ 1184م بقيادة حسام الدين محمد

([1]) عبد الله كلبونة، تاريخ مدينة نابلس، ص34- 37

([2]) الفرنجة: قبيلة من قبائل الجرمان استقرت في بلجيكا وفرنسا وأجزاء من ألمانيا وخلدوا اسمهم على فرنسا ، ولأهمية الفرنجة في تلك الفترة أطلق العرب على الأوروبيين بصفة عامة على اختلاف سلالاتهم وانتماءاتهم إلى دولهم اسم الفرنجة أو الإفرنج فالعرب المسلمون كانوا على وعي وفهم عميقين لمعنى المسيحية والصليبية علاوة على أنهم كانوا يفرقون أيضا بين مسيحية الشرق ومسيحية الغرب؛ الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص111

([3]) مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، ص716

([4]) آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص16

([5]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص112